الكرسي الرسولي

الزّيارة الرّسوليّة إلى الأوروغواي والأرجنتين والبيرو

6-17 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

كلمة قداسة البابا لاوُن الرّابع عشر

في اللقاء مع العالَم الجامعيّ

في جامعة (Santo Toribio de Mogrovejo) الكاثوليكيّة - شيكلايو (Chiclayo)

الجمعة 13 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

[Multimedia]

إخوتي في الأسقفيّة،
السُّلطات الأكاديميّة المحترمون،
الدّكتورة باتريتسيا كامبوس (Patricia Campos)، رئيسة هذه الجامعة،
السُّلطات السّياسيّة والمدنيّة المحترمون،
الأساتذة والباحثة وكلّ أعضاء الهيئة الإداريّة المحترمون،
الطّلاب والطّالبات الأعزّاء،

أنا جدًّا سعيد لأن أعود إلى مدينة شيكلايو، وأن ألتقي بكم في رحاب جامعة سانتو توريبيو دي موغرويخو الكاثوليكيّة (Santo Toribio de Mogrovejo). أشكر الله أوّلًا، ربّ الحياة، على السّنوات التي أتاح لي أن أعيشها وأشارك فيها في حمل الرّسالة، في خدمة شعب البيرو. وثانيًا، أشكركم، لأنّكم، خلال تلك السّنوات التي كنت فيها المستشار الأعلى لهذه المؤسّسة، ساعدتموني لأن أفهم أنّ السُّلطة هي خدمة، وأنّ الحُكم هو إصغاء، وأنّ التّعليم هو فعل نبيل من أفعال الرّجاء.

يدعونا هذا اللقاء إلى استذكار الإرث الخالد لشفيع هذه الجامعة، القدّيس توريبيو دي موغرويخو (Toribio de Mogrovejo)، الفقيه القانوني المعروف ورئيس أساقفة ليما، الذي جعل من حياته منبرًا للحكمة والمحبّة والعدالة. إنّ الإيمان الذي بشّر به، والعِلم الذي علّمه، ينبغي أن يظلاّ البوصلة التي تهدي مسيرة البحث العلميّ في هذه القاعات

أنتم تعلَمون أنّنا نمرّ بتحوّلات ثقافيّة معقّدة. في هذا السّياق، فإنّ الجامعة مدعوّة إلى أن تكون بوتقةً لصقل المواهب ومختبرًا للمعاني، أي فضاءً لا يخضع فيه العقل لمنطق المنفعة، بل يعمل بأمانة لخدمة الحقيقة، وقبل كلّ شيء، للحقيقة المطلقة، التي هي المسيح، مخلّص العالم. من هذا المنطلق، تعمل الجامعة الكاثوليكيّة على تعزيز ثمار اللقاء بين الإيمان والعقل، وبين الدِّين والعِلم، بالحوار المتواضع، والبحث الدّقيق، والسّعي الدّائم لتحقيق الخير العام. هذا النّهج الأكاديميّ يحرّرنا من التّجربة التي تحملنا على أن ننتج فقط أيديًا عاملة مؤهّلة لخدمة سوق محدودة جدًّا، وتقف في وجه كلّ منافسة.

إنّ التّقدّم الذي لا يكترث للعدالة وكرامة العمّال يتحوّل، في الواقع، إلى آلة للقمع والإقصاء والتّهميش. لذلك، يقع على عاتق الجامعة الكاثوليكيّة واجب التّذكير، في المجالَين العام والسّياسيّ، بأنّ العِلم من دون ضمير يدمّر حياة الجميع. وبالمثل، فإنّ التّقنية من دون روح لا تحسّن الحياة حقًّا. أمّا التّربية ذات الطّابع الإنسانيّ والمسيحيّ، فإنّها تعزّز قدرتنا على نسج علاقات أخويّة متينة ودائمة، بما يمكّننا من عبور العصر الرّقميّ والانتقال من مجرّد التّواصل والاتصال إلى إقامة علاقات حقيقيّة تتّجه نحو الوَحدة والشّركة. التّكنولوجيا، أيّها الأصدقاء الأعزّاء، ليست دائمًا محايدة. ففي بعض الأحيان، تحمل أشكالها بصمة من يصمّمها ويتحكّم بها، كما تعكس مصالحه وطموحاته. لهذا السّبب، ينبغي دراستها بعقل صافٍ وقلب نقي.

أكبر المخاطر تكمن في الخضوع للنموذج التّقني، الذي يختزل الواقع في معطيات ماديّة، ويجعل من الكفاءة القيمة العليا. ولذلك، فإنّ الأكاديميين والطّلاب على حدّ سواء مدعوّون إلى ممارسة التّفكير النّقدي، والبحث الدّائم عن الحكمة التي لا تستطيع الآلات ولا البرامج الحاسوبيّة امتلاكها. بهذه الطّريقة فقط، يصير التقدّم التّكنولوجي خادمًا لتنميّتنا الإنسانيّة المتكاملة، إذا صان كرامة كلّ إنسان وعمل من أجل الخير العام.

أمام هذه الرّسالة، تنير لنا الطّريق سيرة القدّيس توريبيو دي موغروبيخو. ففي عصره، حين كانت الشّعوب الأصليّة تتعرّض في كثير من الأحيان للاستغلال والتّمييز، دافع عن كرامتها الإنسانيّة بحماسة إنجيليّة. وتعلّم القدّيس توريبيو لغات الأشخاص الذين كان يخدمهم، وبشّرهم بالإنجيل في إطار ثقافتهم، وألّف لهم كتابًا للتعليم المسيحيّ، كان من أوائل الكتب التي كُتبت في القارّة الأمريكيّة باللغات الأصليّة. وتشهد رسالته الرّعويّة على الكيفيّة التي يواصل بها منطق التجسّد الإلهيّ إعطاء ثمر في كلّ زمان ومكان، من خلال رسالة الكنيسة. ولا يزال العمل الثّقافي الكبير الذي قام به القدّيس توريبيو في هذه الأراضيّ مصدر إلهام وتحفيز لنا. واليوم، في الواقع، لم تعد الصّحاري تقتصر على المساحات القاحلة في إقليم لامبايكي (Lambayeque)، التي كان هذا الرّاعي القدّيس يجتازها على صهوة جواده، بل أصبحت تشمل أيضًا أشكال الأمية الأخلاقيّة والمدنيّة المستجدّة، التي تؤدّي إلى إقصاء الفقراء وتهميشهم. إنّ الجامعة التي تتّخذ من هذا القدّيس قدوةً لها مدعوّة إلى توظيف الابتكار العلميّ من أجل تقليص الفجوات الاجتماعيّة، ومداواة جِراح المجتمع.

بهذا نصِلُ الآن، أيّها الأساتذة والطّلاب الأعزّاء، إلى النّظر في إحدى القضايا المحوريّة في الفكر المعاصر، وهي مسألة المحدوديّة الإنسانيّة، أي الإنسان بوصفه كائنًا محدودًا. فاليوم تتزايد الوعود التي تطرحها تيّارات ما بعد الإنسان وما وراء الإنسان، وهي تيّارات فكريّة وأيديولوجيّة تفترض أن التّكنولوجيا ستتمكّن، عاجلًا أم آجلًا، من القضاء على جميع الأمراض والآلام، وكذلك على الشّيخوخة، بل حتّى على الموت نفسه. وبما أنّ التقدّم في العلوم يُعدّ ثمرةً كبيرة للذكاء البشريّ، فإنّه لا يجوز أن يتحوّل إلى امتياز يقتصر على أصحاب الملايين الذين يطمحون إلى الخلود، في حين تعاني شعوب بأكملها من البؤس والاضطهاد. وهكذا، يبيعوننا وهمَ الإنسان الذي جرى تحسين قدراته وتطويرها بفضل التقنيات السّيبرانيّة والتّكنولوجيا الحيويّة. وأمام هذا السّراب، تذكّرنا الأنثروبولوجيّا المسيحيّة بأنّ محدوديّة الإنسان ليست عيبًا في تكوينه، بل هي جزء من طبيعة الإنسان وشرط من شروط سموّه.

المحدوديّة، في الواقع، هي دعوة إلى التّضامن والانفتاح على ما يتجاوز الإنسان. في حين أنّ أسطورة الاكتفاء الذّاتي تحبسنا في الأنانيّة وتدفعنا إلى إقصاء الضّعفاء، فإنّ اعترافنا بهشاشتنا يجعلنا أكثر انتباهًا إلى احتياجات الجميع. لقد اختبر القدّيس توريبيو دي موغروبيخو محدوديّته الجسديّة برحلاته الشّاقة والمضنية، فمرض، وعانى من الإرهاق، ومن سوء فهم أصحاب النّفوذ وأصحاب السّلطة، بل إنّ حياته، بما شهدته من محن وشدائد، كانت تحديدًا الوسيلة التي

أيّها الطّلاب الشّباب الأعزّاء، أنتم، "أبناء" هذا الزّمن الجديد، استقبلوا الفرص التي يتيحها لكم، وتأمّلوا فيها في ضوء الإيمان، الذي هو بمثابة شعلة تنير دروبنا وسط الارتباك وظلمات الوحدة والملل والألم. لقد عبّرت لنا أنجيلا عن ذلك بصدق كبير، مبيّنةً أنّ الإيمان يمنح الرّجاء دائمًا. فهو لا يخدعنا كما يفعل السّحر الذي يوهمنا بإمكانيّة اختفاء كلّ مشكلة. إنّ العلاقة الحيّة مع الله تمنحنا العزاء والطّمأنينة، إذ تضفي معنى على صلباننا وآلامنا التي يحملها الرّبّ يسوع معنا. وهذه هي الطّريقة التي نعيش بها الإيمان، فيكون الإيمان فضيلة، أي قوّة تمنحنا الحكمة والثّبات، وتقودنا إلى جوهر الأمور وأساسيّاتها، كما روى لنا أدريانو. فالصّلاة والدّراسة كلتاهما تُحدثان تحوّلًا في عقولنا، إلى أن تنعكس آثارهما على حياتنا. وعندئذٍ تصير الحقيقة خيارًا عمليًّا، وتنتقل الصّلاة والدّراسة، كلتاهما، من التأمّل إلى الفعل، إذ تتحوّلان إلى رسالة والتزام يجد الإنسان فيهما الفرح ويسعى إليه في كلّ مرحلة من مراحل الحياة.

في هذا السّياق، شاركتنا الأستاذة غوزمان كلمةً عميقة الدّلالة، وهي: التّضحيّة. ففي الاستعمال الشّائع، يدلّ هذا المصطلح على التّخلّي والتّنازل، لكنّه يعني، قبل كلّ شيء، إضفاء صفة القداسة على الأشياء، أي القيام بفعل يجعل من وجودنا بأكمله، حتّى من الأمور التي يستبعدها العالم ويرفضها، أمرًا ذا قيمة ومعنى. وإذ نتّحد بذبيحة المسيح، التي تكشف لنا المعنى الحقيقيّ لهذه الخبرة، فلنفتح حياتنا، بما فيها من تعب وآمال، أمام عمل الله. فهو يحوّل دائمًا إلى خير كلّ ما نضعه بين يدَيه، يدَي الآب.

أيّها الأساتذة وأصحاب المسؤوليّات الأكاديميّة الأعزّاء، اكتشفوا، بدهشة وشغف، أنّ عملكم هو أسمى تعبير عن المحبّة في مجال الفكر. وبينما ترافقون هؤلاء الشّباب في محاضراتهم وأبحاثهم، قدّموا لكلّ واحد منهم شهادةً صادقة ومتّسقة في حياتكم وسلوككم. كونوا مفكّرين أحرارًا، تكون الحقيقة لديكم أسمى من الرّأي، والعدالة أسمى من المصلحة. واسعوا، جنبًا إلى جنب مع الطّلاب، إلى طلب الحكمة بمثابرة وإصرار، لكي تنقلوها وتجعلوها تثمر في مختلف بيئات حياتكم، وبين زملائكم، وفي مجتمع البيرو. ومن خلال تنمية كفاءاتكم العلميّة، حوّلوها إلى أعمال تحقّق العدالة الاجتماعيّة، ولا سيّما لصالح الفقراء وأكثر النّاس احتياجًا، وكذلك في مجال العناية بالخليقة، التي باتت اليوم تعاني جِراحًا عميقة بسبب المضاربات والممارسات التي تتجاهل مصلحة الشّعب وخيره.

أيّها الأصدقاء الأعزّاء، أحثّكم على مواصلة مسيرتكم التّربوية بعزم متجدّد وحماسة متجدّدة. لهذا، أسأل من أجلكم جميعًا ومن أجل أعمالكم، شفاعة مريم العذراء، كرسيّ الحكمة. فلتعلّمكم هي، التي حملت في أحشائها الكلمة الأزليّ، كيف تسيرون في هذا الزّمن بشجاعة وإيمان. ليبارككم الله دائمًا!

****

2026 ناكيتافلا ةرضاح – ةظوفحم قوقحلا عيمج ©

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana